



موقع فضيلة الشيخ
د محمد إسماعيل المقدم



شرح كتاب

الدَّاءُ وَالِدَاءُ

لفضيلة الشيخ الدكتور

عبد بن عبد بن إسماعيل المقدم

يقول المصنف :

(ولا ريب أن حسن الظن إنما يكون مع "الإحسان" فإن المحسن حسن الظن بربه أنه يجازيه على إحسانه، ولا يخلف وعده ويقبل توبته)

يعني بعد ما تحسن العمل فإنك تستطيع أن تحسن الظن بالله -تبارك وتعالى- أنه سوف يقبل منك هذا العمل ويكافئك عليه ولا يحبطه وسوف يقبل توبته.

يقول: (أما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات، فإن وحشة المعاصي والظلم والإجرام تمنعه من حسن الظن بربه. وهذا موجود في الشاهد، فإن العبد الأبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به)

أما المسيء المصير على الكبائر والظلم والمخالفات فإن وحشة المعاصي والظلم والحرام تمنعه من حسن الظن بربه وهذا موجود في الشاهد (في الواقع)، فإن العبد الأبق المسيء الخارج عن طاعة سيده لا يحسن الظن به (عبد هرب من سيده وأعياه في البحث عنه وبعد ما أجرم في حقه جرائم كثيرة جدا فإذا وقع في يده ، هل يقوى قلب هذا العبد على حسن الظن بسيده؟

لا يستطيع أن يحصل لأن هو تتقدم منه الجرائم، بعكس ما لو كان بخلاف ذلك) لا يمكن إحسان الظن أبدا ، لا يمكن يجتمع في قلب واحد وحشة الإساءة مع حسن الظن، بل حسن الظن يجتمع معه حسن العمل.

يقول:(ولا يجمع وحشة الإساءة إحسان الظن أبدا، فإن المسيء مستوحش بقدر إساءته. وأحسن الناس ظنا بربه أطوعهم له، كما قال الحسن البصري: إن المؤمن أحسن الظن بربه، فأحسن العمل. وإن الفاجر أساء الظن بربه، فأساء العمل . وأن الفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل)

ويقول : (كيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه، متعرض للعنته، قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه، وهان نهيه عليه فارتكبه، وأصر عليه! وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة، وعادى أوليائه، ووالى أعداءه، وجدد صفات كماله، وأساء الظن بما وصف به نفسه ووصفته به رسله ، وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر؟.)

كيف يكون محسن الظن بربه من هو شارد عنه، حال مرتحل في مساخطه وما يغضبه، متعرض للعنته، قد هان حقه وأمره عليه فأضاعه، وهان نهيه عليه فارتكبه، وأصر عليه! وكيف يحسن الظن به من بارزه بالمحاربة، وعادى أوليائه، ووالى أعداءه، وجدد صفات كماله، وأساء الظن بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وظن بجهله أن ظاهر ذلك ضلال وكفر.

يقول: (وكيف يحسن الظن به من يظن أنه لا يتكلم، ولا يأمر، ولا ينهى، ولا يرضى، ولا يغضب؟ وقد قال تعالى في حق من شك في تعلق سمعه ببعض الجزئيات، وهو السر من القول: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (فصلت 22:)

كنتم تحسبون أنكم اذا استخفيتم ،وأسدلتم السُّتُورَ وأغلقتم الأبواب لا يراكم الله، فيقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت 23:)

ظننتم أنكم في هذه الحالة تخفون على الله ، هذا الظن أهلكنهم ، وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين. فهؤلاء لما ظنوا أن الله سبحانه لا يعلم كثيرا مما يعملون كان هذا إساءة لظنهم بربهم، فأرداهم وأهلكهم ذلك الظن .

يقول: (هذا شأن كل من جد صفات كماله ونعوت جلاله ووصفه بما لا يليق به. فإذا ظن هذا أنه يدخله الجنة كان هذا غرورا وخداعا من نفسه، وتسويلا من الشيطان، لا إحسان ظن بربه)

ويقول : (فتأمل هذا الموضع، وتأمل شدة الحاجة إليه! وكيف يجتمع في قلب العبد تيقنه بأنه ملاق الله، وأن الله يسمع كلامه، ويرى مكانه، ويعلم سره وعلايته، ولا يخفى عليه خافية من أمره، وأنه موقوف بين يديه ومسؤول عن كل ما عمل، وهو مقيم على مساخطه، مضيع لأوامره، معطل لحقوقه. وهو مع هذا محسن الظن به؟ وهل هذا إلا من خدع النفوس وغرور الأماني؟)

يعني هل شخص يجتمع في قلبه حضور كل هذه المعاني؟ هل يمكن أن يقدم على معصية الله -عز وجل- ويقيم على مساخطه ويضيع أوامره ويعطل

حقوقه؟ ثم يقول: "أنا أحسن الظن بالله؟ وهل هذا إلا من خدع النفوس وغرور الأمانى؟

وقد قال أبو أمامة بن سهل بن حنيف: دخلت أنا وعروة بن الزبير على عائشة - رضي الله عنها- فقالت: لو رأيتهما رسول الله - ﷺ - في مرض له، وكانت عندي ستة دنانير - أو سبعة- فأمرني رسول الله - ﷺ - أن أفرقها. قالت: فشغلني وجع النبي - ﷺ -، حتى عافاه الله. ثم سألتني عنها فقال: "ما فعلت؟ أكنت فرقت الستة الدنانير؟" فقلت: لا، والله لقد كان شغلني وجعك. قالت: فدعا بها، فوضعها في كفه، فقال: "ما ظن نبي الله لو لقي الله، وهذه عنده؟" وفي لفظ: "ما ظن محمد بربه لو لقي الله، وهذه عنده؟".

أفرقها يعني: توزعها في الفقراء والمساكين

فشغلني وجعك: اشتغلت بتمريضه عليه الصلاة والسلام

واضح جدا هذا المعنى أن يعني في مثل هذه الحالة إذا الإنسان كان مفرطاً- في حق البشر العاديين طبعاً- مفرطاً : يعني إذا كان هذا في شيء مثل هذه الصدقة (من الدنانير) فكيف بمن هو غارق في المعاصي؟ والرسول ﷺ معصوم من من المعاصي عليه الصلاة والسلام ومحفوظ من الله -تبارك وتعالى- وهو يخشى ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده!

فنقول ما ظن الذي يشرب الخمر ويرتكب الكبائر، والتي لا تلبس الحجاب ولا تصلي و يفعل كذا وكذا وكذا من الكبائر الموبقات إذا لقي الله ، هل يقول أنا أحسن الظن بالله؟

لو أحسنت الظن لأحسنت العمل

فحسن الظن يأتي مع حسن العمل لكن لا تجتمع وحشة الاساءة مع حسن الظن ،لأنه هذا شيء مجرب

أنك لا تقوى على حسن الظن إلا إذا أحسنت العمل

يقول (رحمه الله): (فيالله! ما ظن أصحاب الكبائر والظلمة بالله إذا لقوه، ومظالم العباد

عندهم؟ فإن كان ينفعهم قولهم: "حسنا ظنوننا بك"، لم يعذب ظالم ولا فاسق .
فليصنع العبد ما شاء، وليرتكب كل ما نهاه الله عنه، وليحسن ظنه بالله، فإن
النار لا تمسه! فسبحان الله، ما يبلغ الغرور بالعبد!

هل ممكن الظلمة (كل الناس التي تظلم) وتموت بدون ما يؤخذ منها حق عباد
الله

الناس التي تطعن في دين الله وتصد عن سبيل الله وينتهي الأمر هكذا بهذه
الصورة؟

لا بد لهذا حتى بالعقل لا بد أن يكون هناك موقف أمام الله -تبارك وتعالى- يقتص
الله للمظلومين من ظالميهـم . إذا كان الله -سبحانه وتعالى- سوف يقتص للشاة
الجلحاء من الشاة القرناء لأن نطحتها هذه لها قرون وهذه ليس لها قرون ويفصل
بينهما ، فكيف بمن يظلمون الناس ويصدون عن سبيل الله ويطعنون في دين
الله -تبارك وتعالى- هل تنتهي بالموت كل شيء؟

وهل يمكن أن هؤلاء يأتوني يوم القيامة بعد ما فعلوه من حرب الإسلام وحرب
عباد الله وظلم الناس وظلم خلق الله ، هل يمكن أن يأتوا ويقولوا يا رب أحسنا
الظن بك أنك لن تعذبنا وقد ظلمنا الناس وعذبناهم وفعلنا كذا وصددنا عن
سبيلك! فهل هذا حسن ظن بالله؟ هل يقبل الله منهم ذلك؟ إذان تفسد أمور الدنيا
كلها ، فإذن لا عقوبة على الظلم ، فليصنع العبد ما شاء وليرتكب كل ما نهاه
الله وليحسن ظنه بالله فإن النار لا تمسه!!!

فسبحان الله ما يبلغ الغرور بالعبد!

وقد قال إبراهيم لقومه: ﴿أَنفُكَا آلِهَةً دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنكُمْ بِرَبِّ
الْعَالَمِينَ (٨٧)﴾ (الصافات: ٨٦ – ٨٧)

أي: فما ظنكم به أن يفعل بكم إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره؟

وتأملوا جيدا هذه الآية :

أنفكا آلهة دون الله تريدون؟ فما ظنكم برب العالمين؟ ماذا تتوقعون؟ ماذا
تنتظرون من الله اذا لقيتموه وقد عبدتم معه هذه الأصنام!

هذا معنى (فما ظنكم برب العالمين)

ماذا تتوقعون من الله إذا قابلتموه غد؟ أو إذا لقيتموه تبارك وتعالى أي ما ظنكم به؟ ان يفعل بكم اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره.

يقول: ومن تأمل هذا الموضع حق التأمل علم أن حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه. فإن العبد إنما يحمله على حسن العمل حسن ظنه بربه أن يجازيه على أعماله، ويثيبه عليها، ويتقبلها منه. فالذي حمله على العمل حسن الظن، فكلما حسن ظنه حسن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عجز، كما في الترمذي والمسند من حديث شداد بن أوس عن النبي ﷺ أنه قال: "الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت. والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله"

وهذا حديث ضعيف لا يصح مرفوعا الى النبي ﷺ

ويقول: (بالجملة، فحسن الظن إنما يكون مع انعقاد أسباب النجاة. وأما مع انعقاد أسباب الهلاك، فلا يتأتى إحسان الظن. فإن قيل: بل يتأتى ذلك، ويكون مستند حسن الظن سعة مغفرة الله ورحمته وعفوه وجوده، وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو. قيل: الأمر هكذا، والله فوق ذلك، وأجل وأكرم وأجود وأرحم. ولكن إنما يضع ذلك في محله اللائق به)

صحيح ربنا - سبحانه وتعالى - رحمته واسعة وهو أكرم من ذلك وأجود وأرحم

ولكن يضع رحمته في المحل اللائق بها كما قال - عز وجل - : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾

سأكتبها للذين يتقون، هل تسع رحمته الذين كفروا به وسبوا رسله وأنبيائه وكفروا بشرعه؟

لا تسعه رحمتهم لماذا؟

لأن الله كتب الرحمة للمتقين، إنما يتقبل الله من المتقين ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾

يقول : (فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزة، والانتقام وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة.)

يعني صفات الكمال لله -تبارك وتعالى- ليست فقط أنه غفور رحيم ،غفور ،ودود،

وكل هذه الصفات من الكمال ، هناك أيضا من صفات كماله أنه ذو انتقام ممن عصاه

وأنه حكم العدل، وأنه بالمرصاد ، وأنه شديد البأس ممن عدا على شرعه وهكذا واضح؟

فهذا أيضا من الصفات التي يتجلى فيها كماله وجلاله تبارك وتعالى وعدله.

يقول: (فإنه سبحانه موصوف بالحكمة، والعزة، والانتقام وشدة البطش، وعقوبة من يستحق العقوبة. فلو كان معول حسن الظن على مجرد صفاته وأسمائه لاشارك في ذلك البر والفاجر، والمؤمن والكافر، ووليّه وعدوه. فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه)

المجرم الذي باء بسخط الله وغضبه هل ينفعه أن اسم الله الغفور، الرحيم، الودود؟ فإن اسمه في حق هذا الكافر المجرم (ذو انتقام)، **﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾**

يقول: (فما ينفع المجرم أسماؤه وصفاته، وقد باء بسخطه وغضبه، وتعرض للعنته، وأوضع في محارمه، وانتهك حرماته؟ بل حسن الظن ينفع من تاب، وندم، وأقلع، وبذل السيئة بالحسنة، واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة، ثم أحسن الظن بعدها. فهذا حسن الظن ، والأول غرور! والله المستعان)

يقول: (ولا تستطل هذا الفصل، فإن الحاجة إليه شديدة لكل أحد، ففرق بين حسن الظن بالله وبين الغرور بالله. قال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾** (البقرة: ٢١٨))

فالرجاء لا بد فيه من العمل. من رجا شيئا استلزم رجاءه منه ثلاثة أشياء:

- محبته لما يرجوه
- خوفه من فواته
- سعيه في تحصيله بحسب الإمكان

فانظر هنا الآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾

فما سماهم راجين الا بعد ما عملوا ، فجعل هؤلاء أهل الرجاء لا البطالين ولا الفاسقين .

وقال الله -عز وجل-: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النحل: ١١٠)

فأخبر سبحانه أنه بعد هذه الأشياء غفور رحيم لمن فعلها. فالعالم يضع الرجاء مواضعه، والجاهل المغتر يضعه في غير مواضعه.

يعني اذا خلاصة الكلام أننا لا نتعلق فقط بأسماء الله وصفاته، لأن أسماء الله وصفاته فيها صفات الرحمة والمغفرة والعفو وغير ذلك ، وفيها صفات العدل والعزة والانتقام وشدة البأس ممن عصاه ، لكن الله -تبارك وتعالى- يضع رحمته في المحل اللائق بها ، ويضع عقوبته في المحل اللائق بها وإنما يكون ذلك على حسب الأعمال لا بمجرد الأمانى ولا بمجرد الاغترار.

يقول الإمام المحقق ابن القيم الجوزي (رحمه الله) :

(وكثير من الجهال اعتمدوا على (١) رحمة الله وعفوه وكرمه، وضيعوا أمره ونهيه، ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين. ومن اعتمد على العفو مع الإصرار فهو كالمعانده)

وقال معروف: "رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحقم" .

هذه من علامات حماقة ، أن يقول أنا أرجو رحمة الله ، وربنا غفور رحيم ، وربنا يغفر الذنوب جميعا، وهو متمادي في معاصي الله!

المغفرة يضعها الله في موضعها اللائق بها، أما المجرم والعاصي والفاسق فإنه يستحق غضب الله وسخطه وعقوبته.

فقال بعض العلماء: "من قطع عضوا منك في الدنيا بسرقة ثلاثة دراهم، لا تأمن أن تكون عقوبته في الآخرة على نحو هذا"

الله سبحانه وتعالى شرع العقوبات والحدود مثلاً فلو كان شريعته تقطع في الدنيا ، إذا تركت شيء مثلاً يساوي ثلاثة دراهم قطعت به يدك!

قس الأشباه ونظائرها يعني توقع أيضاً أنه ستكون عقوبته في الآخرة على نفس هذا الشيء.

وقيل للحسن البصري -رحمه الله-:(نراك طويل البكاء!

فقال:أخاف أن يطرحني في النار، ولا يبالي)

فهل لله عز وجل معقب؟ يعقب على حكمه؟

فقال:أخاف أن يطرحني في النار، ولا يبالي من أنا .

وكان يقول -رحمه الله-:"إن قوماً ألتهتهم أمانى المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة"

إن قوماً ألتهتهم أمانى المغفرة، حتى خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم:"
إنى لأحسن الظن بربي وكذب ، لو أحسن الظن لأحسن العمل.

وهو أثر طويل عن الحسن البصري وللأسف بعض الناس يعتبرونه حديثاً مرفوعاً وهذا من كلام الحسن - والحسن -رحمه الله تعالى -من التابعين الصالحين ،كان رجلاً ينطق بالحكمة ،وقال فيه بعض السلف هذا الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء ، قيل لأنه رضع من أم سلمة (رضي الله عنها) والله أعلم.

فكان ينطق بكلام في الحقيقة يعني تتفجر ينابيع الحكمة من فمه -رحمه الله تعالى-.

فكان مما قال:"ليس الإيمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وإن قوماً خرجوا من الدنيا ولا عمل لهم وقالوا: نحن نحسن الظن بالله وكذبوا،
لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل"

وسأله رجل فقال: (يا أبا سعيد، كيف نصنع بمجالسة أقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: والله لأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب قوما يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف)

تصحب أناسا يخوفونك حتى اذا ما لاقيت الله تدرك الأمن ، أفضل من أناس يؤمنونك ويطمئنونك وبعد ذلك تلحقك المخاوف.

ثم ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله تعالى- بعض الأحاديث في عقوبات المعاصي وعيد بعض المعاصي للرد على الذين يتعلقون بنصوص الرجاء

الذي قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ هو الذي توعده العصاة على النار والنبي عليه السلام الذي روى عن ربه: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) هو الذي تلا أو أخبرنا بهذه الأحاديث.

فقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يجاء بالرجل يوم القيامة، فيلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور في النار كما يدور الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار، فيقولون: يا فلان ما أصابك؟ ألم تكن تأمرنا بالمعروف، وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية وأنهاكم عن المنكر وآتية".

أقتاب بطنه : أمعائه

هذا سيحصل أم لن يحصل؟

هذا سيحصل بخبر الصادق المصدق

كان يمكن لمثل هذا الشخص أن يتعلل أيضا بماذا ؟

بحسن الظن بالله

وذكر الإمام أحمد من حديث أبي رافع قال: مر رسول الله ﷺ بالبقيع فقال: "أف لك، أف لك! " فظننت أنه يريدني. فقال: "لا، ولكن هذا قبر فلان بعثته ساعيا على آل فلان، فغل نمر ، فدرع الآن مثلها من نار".

"فغلّ : سرق من هذه الغنيمة

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ "مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من هؤلاء؟ قالوا : خطباء من أهل الدنيا ، كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، أفلا يعقلون ؟".

قال (عليه الصلاة والسلام) "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم وصدورهم. فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم".

وكان ﷺ يكثر أن يقول: "يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك". فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: "نعم، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله، يقلبها كيف يشاء".

قال (عليه الصلاة والسلام) لجبريل: "ما لي لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟" قال: ما ضحك منذ خلقت النار".

وفي صحيح مسلم عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "يؤتى بأهل الدنيا من أهل النار، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال له: يا ابن آدم، هل رأيت خيرا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسا في الدنيا من أهل الجنة، فيصبغ في الجنة صبغة، فيقال له: يا ابن آدم، هل رأيت بؤسا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط".

وفي المسند من حديث البراء بن عازب، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهينا إلى القبر، ولما يلحد، فجلس النبي ﷺ وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه، فقال: "استعيذوا بالله من عذاب القبر" مرتين أو ثلاثا. ثم قال: "إن العبد المؤمن إذا

كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة"

يعني هذا الكلام نحن اليوم نسمعه سيأتي يوم كل انسان منا أو من الغائبين عن هذا المجلس سوف يرون هذا عيانا، ويكون كل إنسان واحد من الفريقين الذين يذكرهما ، نفس هذه الأحاديث سمعها من قبل ملايين البشر ، سمعوها وكانت خبرا كما نسمعه نحن الآن ، وسنوات قليلة أو لحظات مرت ثم هم عاينوها ، وأصبحت حقيقة واقعة.

فلا بد الانسان يكون عنده يقين جازم لا شك فيه في وقوع هذه الأمور كما يخبر الصادق المصدوق عليه السلام.

"إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر. ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: اخرجي أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء ."
فتخرج تسيل كما تسيل من في السقاء في منتهى السهولة والسلاسة .
" فيأخذها " :أي ملائكة الجنة.

" فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض. فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب ؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له".

فيستفتحون له: يطلبون أن تفتح أبواب السماء

"فيفتح له، فيشيعة من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى". قال: "فتعاد روحه، فيأتيه ملكان، فيجلسانه."

أما يخبر في القبر يأتيه ملكان
" فيجلسانه " كيف يجلسانه؟

لا ندري ، هذا شيء لا ندريه ، وسوف ندري جميعا
نسأل الله التثبيت

فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله عز وجل . فيقولان له: ما دينك؟ فيقول:
ديني الإسلام . فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول
الله. فيقولان له : وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فأمنت به ، وصدقت.
فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة،
وافتحوا له بابا إلى الجنة". قال: "فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره
مد بصره".

قال: "ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي
يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده. فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء
بالخير. فيقول: أنا عمك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة، رب أقم الساعة "

رب أقم الساعة : يشناق الانتقال إلى الجنة

"رب أقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي". قال: "وإن العبد
الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء
ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح ، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك
الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط
من الله وغضب". قال: "فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من
الصوف المبتل، فيأخذها . فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى
يجعلوها في تلك المسوح. ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه
الأرض. فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا
الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في
الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له".

ثم قرأ رسول الله ﷺ (لَا تُفْتَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ) (الأعراف: ٤٠).

هل يمكن الجمل يمر من ثقب الإبرة!! شيء منطقي لا يمكن!! معناها هيدخلوا الجنة لما المستحيل يقع هو شيء من السخرية والتهكم والاستهزاء, كأن تقول أنا سأفعل لك كذا أو أتيتك بكذا لما يبيض الغراب الأسود! أو حين يشيب الغراب! طبعاً الناس بتقول ده عند التعليق علي أشياء من المستحيل أن تقع! هل يمكن للغراب الأسود أن يشيب؟ فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين، في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: 31]. فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، لا أدري، من شدة الخوف والرعب لا يعرف جواباً, يكون متحيراً لا يعرف من ربه ومن رسوله ولا من كتابه —أعاذنا الله من فتنة الممات وفتنة القبر- لا يعرف ولا يدري لكن يعرف فريق الأهل بيتكون من لاعبين آساميهم كذا وده يبسجل من المكان الفلاني ويحب الأكل من الفلاني, وفريق الزمالك كذا المباراة في يوم كذا وغيرها ويعرف السيارات وأنواعها والقماش وأنواعه, كل هذا الكلام الذي لا ينفع العلم به على الإطلاق, إنما يغتر به, هو عالم بكل شيء إلا ماذا سيحدث معه في قبره, لا خبر عنده في ذلك, كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطٍ مُسْتَكْبِرٍ، جَمَاعَ مَنُوعٍ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ مُسْكِينٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى لِأَبْرَةٍ [1]. كُلُّ «عُتْلٍ» وَهُوَ الْفُظُّ الْغَلِيظُ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ، أَوْ الْفَاحِشُ الَّذِي لَا يَنْقَادُ لْخَيْرٍ، «جَوَاطٍ» وَهُوَ الْمَتَكَبِّرُ صَاحِبُ الْجَسَدِ الضَّخْمِ، الْمُخْتَالُ فِي مَشِيَّتِهِ، وَقِيلَ: سَيِّئُ الْخُلُقِ، «مُسْتَكْبِرٍ» عَلَى النَّاسِ بِغَيْرِ حَقٍّ؛ فَاسْتَحَقَّ النَّارَ، وَقَالَ: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنْ اللَّهُ يَبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَاطٍ صَخَابٍ بِالْأَسْوَاقِ جِيْفَةً بِاللَّيْلِ حِمَارٌ بِالنَّهَارِ عَالِمٌ بِالدُّنْيَا جَاهِلٌ بِالْآخِرَةِ) في الليل لا يصلي ولا يعبد الله, حمار بالنهار, يتعلم كل شيء ويُهمل أوجب علم عليه وهو أن يعرف من ربه؟ ألا تعرف من ربك؟ وما دينك؟ ولا تعرف رسولك محمد صلى الله عليه وسلم!! فهذا الكافر الفاجر يُقال له من ربك؟ فيقول: هاه هاه, وما دينك؟

فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم، فيقول: هاه هاه، وفي بعض الروايات أنه لا يهتدي لاسمه, فيقولان له: " محمد", فيقول: هاه هاه لا أدري, سمعت

الناس يقولون شيئاً فقلته!! لا أدري، وهذا واقع الكفار في أغلب الأرض اليوم ، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته! يفلدون الذين يطعنون في دين الإسلام ويُنفرون من شريعة الإسلام بهذه الشبهات التي يفعلونها ويتواصون بها جيلاً بعد جيل!! يصرفون الناس عن دين الله – عز وجل- هؤلاء في القبر سيكونون نفس الشيء (سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته) لكن هل تحرّيت؟ هل استعملت عقلك في الوصول هل هذا الرجل رسولٌ من عند الله أم لا؟ هل تأكدت وفكرت بعقلك هل هو كتاب الله تعالى أم لا؟ ما في شك إن أي واحد من الكفار لو أراد أن يبحث بصدق وبحق عن الحق لن تُغلق دونه الأبواب، الحق متيسر لكل من طلبه بإخلاص، والله سبحانه وتعالى يوفق ويهدي كل من أراد الحق والوصول إليه بصدق ونية صادقة ، لكنهم لا يريدون فقامت عليهم حجة الله ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : و الذي نفسُ محمدٍ بيده ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة ، لا يهوديٌّ و لا نصرانيٌّ ، ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أرسلْتُ به ، إلّا كان من أصحابِ النار[2]

كل من دب على هذه الأرض من أمة محمد يعني إسحاق شامير من أمة محمد!! شارون وبوش من هذه الأمة! كل الكفار من ساعة ما بُعث النبي إلى الآن من أمة محمد! يعني الأمة التي بُعثَ فيها محمد عليه الصلاة والسلام ، هؤلاء جميعاً مسئولون عن رسالته شاؤوا أم أبوا، وسوف يسألون في القبر وسيقولون مثل ما قال هذا الرجل: هاه هاه لا اعرف، سيقولون مثله إذا لم يسلموا ولم يتوبوا ويرجعوا إلى الله عز وجل، فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعثَ فيكم، فيقول: هاه هاه، (فينادي مُنادٍ من السماء: أنْ كَذَبَ، فأقرشوه مِنَ النَّارِ، وافتحوا له باباً إلى النَّارِ، فيأتيه من حرّها وسمومِها، ويضيقُ عليه قبره، حتّى تَخْتَلِفَ أضلاعه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثيابِ مُنتِنُ الرِّيحِ، فيقول: أبشِرْ بالَّذي يَسْوءُكَ، هذا يومُكَ الَّذي كُنتَ تُوعِدُ، فيقول: مَنْ أنتَ، فوجهُكَ الوجهُ يَجِيءُ بالشرِّ، فيقول: أنا عمَلُكَ الخبيثُ، فيقول: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ! [3]

لأنه يتوقع الشر إذا قامت الساعة ويتوقع العذاب إذا قامت الساعة من هول ما رأى.

وفي لفظٍ لأحمد: قال: «زادَ في حديثِ جَرِيرٍ قال: ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَى أَبْكَمَ-» لا يَراهُ ولا يَسمَعُ صُراخه، فلا تَأْخُذْهُ بِهِ رَحْمَةً ولا شَفَقَةً، «معه مِرْزَبَةٌ من حَدِيدٍ»، أي: معه مِطْرَقَةٌ من الحَدِيدِ، «لو ضُربَ بها جَبَلٌ لَصارَ تُراباً»؛ لِقُوَّتِها وشِدَّةِ

الضَّرْبِ بِهَا، «قال: فَيَضْرِبُهُ بِهَا ضَرْبَةً يَسْمَعُهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ»، أي: يَسْمَعُ صُرَاخَهُ كُلُّ الْخَلَائِقِ إِلَّا الْإِنْسَ وَالْجِنَّ؛ فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ هَذَا الْعَذَابِ حِجَابًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ، «فَيَصِيرُ تُرَابًا»، من شِدَّةِ الضَّرْبَةِ الَّتِي تَسَحِّقُهُ فَيَتَحَوَّلُ إِلَى تُرَابٍ، قال: «ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ»؛ وذلك لِيُعَادَ لَهُ الْعَذَابُ.

وفي الحديث: التَّنْبِيهُ إِلَى فَضْلِ الْإِيمَانِ وَمَغَبَّةِ الْكُفْرِ فِي الْقَبْرِ وَبَعْدَ الْمَوْتِ.

وفيه: بَيَانُ أَنَّ فِي الْقَبْرِ نَعِيمًا لِلْمُؤْمِنِ، وَعَذَابًا لِلْكَافِرِ

ولماذا لا يسمعه الثقلان؟

لأن في هذه الحالة الناس يجبرون على الإيمان, وسيصير الغيب شهادة لأن إذا سمعوها ينتهي التكليف!! لكن الله تعالى جعل الدنيا غيب وشهادة.

الآن هذه الأشياء غيبية بالنسبة إلينا ، لأن لو انكشفت لنا الحُجب ولو رأينا الآن الجنة والنار ورأينا ما يحصل في قبر لأجبر الناس جميعًا قهراً بالإيمان ، وهذا ينافي حكمة الخلق وحكمة الابتلاء, العبرة أن توقن قبل أن ترى هذه الأشياء بعينك, توقن و تراها بعين قلبك..

﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السَّجْدَةِ: 12].

هل ينفع هذا اليقين ؟

هذا يقين لا ينفع ، لكن اليقين الذي ينفع هنا , أن توقن بهذه الغيبيات وأنت هنا في دار الدنيا.

فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين.

ويقول النبي ﷺ (نَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِطِ لِبْنِي النَّجَّارِ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبَرُ سِتَّةً، أَوْ خَمْسَةً، أَوْ أَرْبَعَةً - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجَرِيرِيُّ- فَقَالَ: مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبَرِ؟ فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، قَالَ: فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُنْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافِنُوا، لَدَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ. ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بَوَّجْهِهِ، فَقَالَ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، فَقَالَ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، قَالَ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ، قَالَ: تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، قَالُوا: نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ).

لكن خشي عليه الصلاة والسلام أن الصحابة إذا سمعوا شيء من عذاب القبر لا يدفنون الموتى من شدة الخوف والهوان ولا يطبقون أن يدخلهم أحد القبور من شدة عذاب القبر إذا سمعوه.

فلذلك أخفي علينا حتى ندفن الموتى ويصير كلُّ إلى مقره ومستقره.

وفي المسند أيضاً عن البراء رضي الله عنه قال: (بينما نحن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: عَلَامَ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: عَلَى قَبْرِ يَحْفِرُونَهُ، قَالَ: فَفَزِعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَدَرَ بَيْنَ يَدَيْ أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا حَتَّى انْتَهَى إِلَى الْقَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ، قَالَ: فَاسْتَقْبَلْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لِأَنْظُرَ مَا يَصْنَعُ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى مِنْ دُمُوعِهِ! ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، قَالَ: أَيُّ إِخْوَانِي، لِمِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ فَأَعِدُّوا) ..

انظر إلى منظر رسول الله عليه الصلاة والسلام قد فزع من هذا ، أخذ يجري مسرعاً بين يدي أصحابه عليه الصلاة والسلام ، حتى انتهى إلى القبر.

"فجثا على ركبتيه ، فاستقبلته بين يديه لأنظر ما يصنع ، فبكى حتى بل الثرى من دموعه"

عليه الصلاة والسلام بكى حتى ابتلت الأرض من غزارة دموعه صلى الله عليه وسلم.

"ثم أقبل علينا فقال: أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا."

كل إنسان يستحضر هذه اللحظة ، ويستحضر هذه الحفرة التي تنتظره. والتي يقول فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

" ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أقطع منه." يتخيل الإنسان منا أو يجرب يحاول أن يستطاع أن يدخل قبرًا محفورًا.

يحاول أن يدخل ويضطجع وينام في قبر محفور ثم يتخيل أنه قد أغلق علي هذا القبر.

هذه كافية في استيقاظ قلبه من الغفلة ومن اللهو ومن النوم.

عن بريدة رضي الله عنه قال: (حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ، (٥) عَنْ أَبِيهِ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا فَنَادَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَذَرُونَ مَا مَثَلِي وَمَثَلَكُمْ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلَكُمْ مَثَلُ قَوْمٍ خَافُوا عَدُوًّا يَأْتِيهِمْ، فَبَعَثُوا رَجُلًا يَتَرَاءَى لَهُمْ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ أَبْصَرَ الْعَدُوَّ، فَأَقْبَلَ لِيُنْذِرَهُمْ وَخَشِيَ أَنْ يُدْرِكَهُ الْعَدُوُّ قَبْلَ أَنْ يُنْذِرَ قَوْمَهُ، فَأَهْوَى بِثَوْبِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْتَيْتُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْتَيْتُمْ -ثَلَاثَ مَرَّاتٍ)"

(خرج مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَكُمْ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمَهُ، فَقَالَ: يَا قَوْمُ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بَعِثَنِي، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالْآنَجَاءُ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَذَلُّوا فَأَنْطَلَقُوا عَلَى مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاَحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ)»..

وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أَنَّ رَجُلًا قَدِمَ مِنْ جَيْشَانَ -وَجَيْشَانَ مِنَ الْيَمَنِ- فَسَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ شَرَابٍ يَشْرَبُونَهُ بِأَرْضِهِمْ مِنَ الدَّرَةِ، يُقَالُ لَهُ: الْمِزْرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْ مُسْكِرٌ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، إِنَّ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَهْدًا لِمَنْ يَشْرَبُ الْمُسْكِرَ أَنْ يَسْقِيَهُ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا طِينَةُ الْخَبَالِ؟ قَالَ: عَرَقُ أَهْلِ النَّارِ، أَوْ عُصَارَةُ أَهْلِ النَّارِ) ..

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون ، أظت السماء وحق لها أن تئط ؛ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدا . والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ، وما تلذذتم بالنساء على الفراش ، ولخرجتم إلى الصعودات تجأرون إلى الله . لو ددنت أني كنت شجرة تُعصد).

الأطيط هو صوت الإبل وحنينها، لما يكون الجمل يحمل وزن ثقيل جدا على ظهره فيئط ويئن من شدة الثقل الذي يحمله.

فيقول الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام:

" أظت السماء "

السماء تكاد تن من كثرة ما تحمل من الملائكة.

" أظت السماء وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك ساجد ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفراش ولخرجتم إلى الصعودات _الطرقات_ تجأرون إلى الله عز وجل. "

قال أبو ذر بعد أن روى هذا الحديث:

"والله لو ددت أني شجرة تعضد _ شجرة تقطع _ وما كنت أحاسب."

وعن حذيفة رضي الله عنه قال: (رَجْنَا مع رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأنصارِ، فانتهَيْنَا إلى القَبْرِ، ولمَّا يُلْحَدُ، قال: فَجَلَسَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، وجَلَسْنَا معه، فَذَكَرَ نحوه، وقال: فَيَنْتَزِعُهَا تَنْقَطِعُ معها العُرُوقُ والعَصَبُ، قال أبي: وكذا قال زائدة). [9]

يعني المؤمن أيضاً لابد له من فتنة القبر وهي هذه الضغطة ثم تفرج عنه. طبعاً إلا الشهيد.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (لما دُفِنَ سَعْدٌ، ونحن مع رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم، سَبَّحَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فسَبَّحَ النَّاسُ معه طَوِيلًا، ثُمَّ كَبَّرَ فَكَبَّرَ النَّاسُ، ثُمَّ قالوا: يا رسولَ الله، مِمَّ سَبَّحْتَ؟ قال: لقد تَضَافَقَ على هذا الرَّجُلِ الصَّالِحِ قَبْرُهُ حتى فَرَّجَهُ اللهُ عنه). [10]

حتى فرج الله عنه: فرج هذه الضغطة ، ضغطة القبر

ولذلك من الإحسان للميت أن يمكث الناس بعد دفن الميت فترة من الوقت ، فترة تساوي الفترة التي يستغرقها الذبح الجزور وتوزيع لحمه ، يجلسون ويدعون له ليؤنسونه ويسألون الله عز وجل أن يثبتته..

وفي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: (قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم: إِذَا وُضِعَتِ الجِنَازَةُ، فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ على أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قالَتْ: قَدِّمُونِي، قَدِّمُونِي، وَإِنْ كَانَتْ غيرَ صَالِحَةٍ قالَتْ: يا ويلها، أَيْنَ يَذْهَبُونَ بها؟ يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإنسانَ، ولو سَمِعَهَا الإنسانُ لَصَعِقَ). [11]

أفيقوا أيها المسلمون

واحتملها الرجال على أعناقهم .. أفيقوا ولا تفتحوا باب هذه البدعة النصرانية اليهودية الخبيثة التي بدأت الآن تظهر في جنائزنا ، حتى في الموت سنقلد اليهود والنصارى ونحرف عن شريعة الله!!

كثيرة على أخيك المسلم أن يحملوه على أعناقكم؟ وأن يأتي الآن بالسيارات الإسعاف ونقلد اليهود والنصارى ونمشي هذه المشية الجنازية بالسيارات!!

بئست البدع!!!

هذه بدعة بدأت تسري في الناس وهي من البدع المحدثات الضلالات.

كما يقول النبي عليه الصلاة والسلام هنا: **"واحتملها الرجال على أعناقهم."**

من الوفاء للميت ومن احترام الميت أن يحمله الناس على أكتافهم.

هذا تقدير له ، لا أن تحمله السيارة

هذا تقدير للميت وإكرام الميت ومحبة له أن يُحمل على أعناق رجال ، لا أن يحمل على السيارات كما يفعل اليهود والنصارى. يعني يُرجى إذا كانت هناك جنازة يتم الاتفاق مع ولي الميت قبل أن تبدأ الجنازة وفي البدايات الأولى لتنظيم الجنازة لأنه إذا حصل في أثناء الجنازة نفسها اختلاف في هذا الأمر بتحصل فتن كثيرة.

لكن الإنسان ينظر من هو ولي الميت وينصحه وطالما نصحنا الإخوة أن يحاول أحد من إخواننا من أهل الخير أن يتبرع بصناعة نعش خفيف الوزن حتى لا يكون ثقيلاً على المشيعين خاصة إذا طالت المسافة ، هذا أظن شيء سهل يمكن أن يدبر بأي طريقة ، يكون نعش خفيف الوزن ، لكن هذا النعش الثقيل يمكن أن يضر بعض الحاملين. فيكون نعش خفيف للرجال ونعش آخر للنساء ، بحيث يحمل عليه الميت بدلاً من هذه الضلالات التي بدأت تشيع الآن تشبهاً بأعداء الله من اليهود والنصارى!!.

يمشون بها في سيارات الإسعاف يصلون عليها وهي داخل سيارات الإسعاف

ما هذا؟!!

كثير على أخيك المسلم أن يحملوه على أعناقكم!!

فهذا من إكرام الميت ومن احترامه ومن الوفاء له أن يحمله الرجال على أعناقهم ، لا أن تحمله هذه السيارات.

يقول النبي عليه الصلاة والسلام:

" إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم ، فإن كانت صالحة قالت: **قدموني قدموني! قدموني** ، نحن لا نسمع لكن هذا يقع قطعاً كما أخبر الصادق المصدوق ، لماذا ؟. "

تخيلوا كيف يكون اشتياق المؤمن إلى أن يذهب إلى قبره لأنه يرى ويتوقع في قبره النعيم العظيم جداً ويُفتح له باب إلى الجنة وكذا وكذا من النعيم في القبر.

فهو العبد الصالح في هذه الحالة إذا كانوا يمشون ببطء يقول: قدموني ، يعني يستبطن حتى لو كانت المسافة بسيطة عشر دقائق أو ربع ساعة ، هو يريد أن يسرع ، مُشتاق إلى أن يذهب إلى هذا المكان ، إلى القبر ، لما يرى فيه من النعيم.

قدموني قدموني.

فمعنى ذلك أن الإنسان _ المؤمن _ يستبشر خيراً إذا مات ، ولا يحزن على ما خلف من الدنيا ، لكن ما يكون أمامه بسبب عمله الصالح سوف يجعله في هذه اللحظة يقول: قدموني قدموني.

وقد تكفل رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبلاغنا هذه الرسالة ، نحن لا نسمعه لكننا نوقن أنه يقول ذلك ، لماذا ؟ لأن الرسول هكذا قال "قدموني قدموني." فمعنى ذلك كأننا نسمعه بالظبط ، فعلينا أن نقدمه ، لا أقول نجري كمسابقة اختراق الضاحية كما يحصل من الإخوة ويحدثون فتناً أحياناً في الجنائز لكن هي ماشية فوق المشي المعتاد، لمخالفة هيئة اليهود في المشية الجنائزية المعروفة.

لكن مش معناها إنها مسابقة في الجري ، يفرع الشباب بالجنابة و يهرعون ، ثم يتخلف كبار السن والضعفاء ولا يستطيعون أن يلحقوا الجنابة ويحرمون من تشيعها.

ليس كل الناس معهم سيارات ,يستطيعون اللحاق ، لكن هي مشية فوق المشي المعتاد ، لمجرد مخالفة المشية الجنائزية المعروفة عند اليهود والنصارى.

" فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني ، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين تذهبون بها!!

يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان ، ولو سمعها الإنسان لصعق."

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم: تَدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ -قَالَ سُلَيْمٌ بْنُ عَامِرٍ: فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ؛ أَمْسَافَةَ الْأَرْضِ، أَمْ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ؟- قَالَ: فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدَرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ الْجَامَا. قَالَ: وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ..

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كَيْفَ أَنْعَمَ وَقَدْ التَّقَمَ صَاحِبُ الْقَرْنِ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أَنْ يَوْمَرَ أَنْ يَنْفَخَ فَيَنْفَخَ قَالَ الْمُسْلِمُونَ: فَكَيْفَ نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُولُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنَعْمَ الْوَكِيلُ تَوَكَّلْنَا عَلَى اللَّهِ رَبِّنَا وَرَبَّمَا قَالَ سَفِيَانُ: عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا).

صاحب القرن هو إسرائيل عليه السلام وقد التقم القرن وحنى جبهته واستعد متى يؤمر فينفخ! فقال أصحابه وماذا نقول؟ فقال لهم قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا..

وعن ابن عمر رضي تعالى عنهما:

(من تعظم في نفسه أو اختال في مشيئته ، لقي الله تبارك وتعالى وهو عليه غضبان).

وفي الصحيحين عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ اللَّهِ الْمَصَوِّرُونَ)
في الصحيحين قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُقَالُ لَهُمْ: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ"،
ففي هذا دليلٌ على أَنَّ الحَيَاةَ إِنَّمَا قُصِدَ بِذِكْرِهَا أَنَّ الْمُحَرَّمَ هُوَ الْمَجْسَمُ مِنَ
الْحَيَوَانِ وَذَوَاتِ الْأَرْوَاحِ.

وقولُ ابنِ عباسٍ في الصَّحِيحِ لِمَنْ سَأَلَهُ عَمَّا يُصَوِّرُهُ بِيَدِهِ: "وَيْحَاكَ! إِنْ أَبَيْتَ إِلَّا
أَنْ تَصْنَعَ، فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الشَّجَرَةِ، وَكُلِّ شَيْءٍ لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ"؛ فهذا يدلُّ على أَنَّ
تَصْوِيرَ النَّبَاتِ، وما لَيْسَ فِيهِ رُوحٌ لَا إِثْمَ فِيهِ.

وفي الحديثِ: تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ لِكُلِّ مَنْ تَكَبَّرَ، وَتَجَبَّرَ وَعَانَدَ .

وفيها أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ
مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ:
هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)..

وفيه أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ،
وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُدْبَحُ، ثُمَّ
يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ لَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لَا مَوْتَ، فَيَزِدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ
فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزِدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ)..

هل هناك آية في القرآن في سورة مريم لها علاقة بهذا الحديث ؟

﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مَرِيَمَ
[٣٩:

هذا هو يوم الحسرة ولحظة الحسرة هي هذه اللحظة التي يُذبح فيها الموت ،
الموت عرض ، سينقلب إلى عين في صورة كبش أملح ، فيذبح بين أهل الجنة
والنار ويقال: يا أهل الجنة لا موت بعد اليوم خلود ولا موت ، ويا أهل النار
خلود ولا موت فيزداد أهل الجنة فرحًا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنًا إلى
حزنهم.

نَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُنْجِيَنَا مِنْ أَهْوَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، اللَّهُمَّ أَقْسَمَ لَنَا مِنْ
خَشْيَتِكَ مَا تَحَوَّلَ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعْصِيَتِكَ

وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتِكَ ، وَمِنْ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبُ الدُّنْيَا
. وَمَتَّعَنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا .

وَاجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا ، وَاجْعَلْ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا ، وَانْصُرْنَا عَلَى مَنْ عَادَانَا
، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتَنَا فِي دِينِنَا وَلَا تَجْعَلْ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنا وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا . .

وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا بِدُنُونِنَا مِنْ لَا يَخَافُكَ وَلَا يَرْحَمُنَا

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَاسْتَغْفِرَ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ
إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.